ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: http://www.jtuh.com
JTUH
مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية
Journal of Tikrit University for Humanities
كليـــة التربية للعلوم الانسانية
College of Education for Human Sciences

Pilgrimage and its persuasive energy in prose prose

Dr. Hassan Ismail Khalaf1

M. Rawia Abdullah Mohammed1

1 the department of Arabic language
College of Education
University of Tikrit
Tikrit, Iraq

***Keywords*:**
The concept of pilgrims in language and terminology
Tactical strategy
Search margins

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 10 jun. 2017
Accepted 22 January 2017
Available online 05 xxx 2017

A B S T R A C T

Pilgrims are one of the most advanced modern sciences, which works with many tools to convince the other.one of the most important used Pilgrim tools and powerful ways in which the arguments . In view of the importance of the prose.

Prose as linguistic, intellectual and literary wealth, The study sought to reveal its pilgrim characteristics by renewing the pilgrimage stairs and its persuasive energy, in which he organized his sermons and commands. Which is a fertile ground for any modern study. It is also a confirmation of the heritage of the pilgrims and an extension of the roots of the ancient heritage.

© 2018 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.25.2018.05

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities

السُلم الحِجاجِي وطاقتهُ الإقناعية في النثر الجاهلي

أ.م.د حسن إسماعيل خلف/جامعة تكريت/كلية التربية
م.م راوية عبدالله محمد / جامعة تكريت /كلية التربية

الخلاصة

يعد الحجاج من العلوم الحديثة المتطورة الذي يعمل بعدة أدوات على إقناع الأخر، وقد بات معروفاً في التصورات الحجاجية أن – السلم الحجاجي . من أهم الأدوات المستعملة ، والسبل القوية التي يتوصل بها المُحاجِج، لأقناع المُحاجَج.

ونظراً لأهمية النثر الجاهلي بكونه ثروة لغوية وفكرية وأدبية فقد نهجت الدراسة الكشف عن خصائصة الحجاجية بتحديد السلالم الحجاجية وطاقتها الاقناعية التي نُظمت بها خطبة ووصاياه ، وهي دراسة جامعة بين القديم والحديث تقوم على خدمة النصوص بمستوياتها المتعددة إثباتاً لتجددها بتجدد النظريات فهي أرضية خصبة لأي دراسة حديثة ،كما إنها إقراراً بعراقة الحجاج وإمتداداً لجذورة في القديم الموروث .

المقدمة

* *Corresponding author: E-mail* : adxxxx@tu.edu.iq

يعد الحجاج من الموضوعات القديمة المتجددة التي تستمد قوتها من قدرة الناص على إيصال فكرته الى المتلقي ، إذ يعد تقنية قديمة وظفها الاقدمون لخدمة نصوصهم الخطابية فضلاً عن كونه تقنية حديثة حظيت بعناية الدراسات الأدبية الحديثة إعتماداً على التطور الحاصل في الدراسات النقدية الحديثة ، ولأهمية هذه النظرية إرتأينا دراستها في النصوص النثرية الجاهلية (الخطب والوصايا) من خلال ترتيبها اللغوي ضمن السلالم الحجاجية ، لإثبات جذور هذه النظرية في النثر القديم ، فضلاً عن محاولة الكشف عن قدرة الفرد العربي في عصر ما قبل الإسلام في إنتاج نص متماسك وفق نسق منظم من الجزيئات اللغوية مرتبة تصاعدياً قصد الإستمالة و الإقناع .

فقسمنا البحث حسب الطبيعة الموضوعية الى تمهيد ومحورين فضمنا التمهيد مفهوم الحجاج ، وعناصر الحجاج المُرسِل والمُرسَل إليه ثم علاقة الحجاج بفني الخطابة والوصيه . أما المحور الاول فشمل السُلم الحِجاجي مفهومه وقوانينه ثم أهمية السُلم الحِجاجي ، كما تضمن المحور الثاني أمثلة تطبيقية في النصوص النثرية فالخاتمة وأهم ما توصل إليه البحث من نتائج ثم قائمة المصادر والمراجع.

رموز البحث :(ح . حجة). (ن . نتيجة) ((لا . ن) . نتيجة مضادة ل ن)

اولا: مفهوم الحجاج في اللغة والاصطلاح:

لقد تقاربت المفاهيم اللغوية لمعنى الحجاج فقد جاء بمعنى الجدل والبرهان اللذان يعتمدهم البات للاستدلال والإقناع إذ حده ابن سيده بقوله : ((حاججتهُ أُحاجُه حجاجاً ومُحاججةً من حججتهُ بالُحجج التي أدليتُ بها والحجةُ البرهان)) [١] .

وقد تبعه ابن منظور في ذلك بقوله : ((أنا حاججتهُ فانا مُحاجه وحجيجةُ : اي مغالبهُ باظهار الُحُجةِ التي تعني الدليل والبرهان)) [٢].

أما في الاصطلاح فقد تشعبت مفاهيمه وفقا لإختلاف وجهات نظر منظرية في الدراسات الغربية والعربية إذ جعله بيرلمان وتيتيكاه عملية التفنن في تركيب خطاب واعٍ يتضمن تقنيات إقناعية تدفع الاذهان الى التسليم بما يعرض عليها من طروحات[٣].

أو هو كامن في اللغة ذاتها حسب مفهوم اوكسمبر وديكرو .[٤]

كما عده مايير : ((دراسة العلاقة بين ظاهر الكلا وضمنيه)).[٥]

رابطا بينه وبين قضية المسائلة

أما الدارسين العرب فلم يغفلوا هذا العلم إنما أولوه عناية فقد عرفه طه عبد الرحمن بأنه فعالية تداوليه جدليه ، لأنه يقوم على معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفيه ، تهدف الى الإقناع القائم على الصور الاستدلالية في نطاق أوسع من البنيات البرهانية الضيقة [٦].

وهناك من عدة أليه توظيف اللغة وفق سياق هادف للاقناع والاستمالة [٧].

فالحجاج تقنية تركيبية للمفردات اللغوية وفق سياق حواري منظم ومدعم بالادلة والبراهين التي يبثها المُرسِل الى المتلقي هادفا بها الإقناع والإستمالة .

ثانيا: الاستراتيجية التخاطبية :

يقوم الخطاب الحجاجي بين عنصرين رئيسين هما المُرسِل والمُرسَل إليه ، ويشترط في الخطاب الحجاجي أن يكون مستمداً من الخبرات والمعارف المشتركة بين الطرفين وتكمن نجاعته في قدرته على إقتحام عالم المتلقي وتقييده وفق إستراتيجية الخطاب [٨]، وهي المسلك المنظم الذي يتبعه المُرسِل لتوجيه خطابه الوجهة التي تعينه على تحقيق أهدافه بتوظيفه للعلامات اللغوية وغير اللغوية تبعاً لما يقتضيه سياق التعبير بعناصره المتنوعة [٩].

وبذلك يكون الباثُ هو مصدر إنتاج الخطاب ضمن غرض معين ،بكونه المسؤول عن نجاح أو فشل العلاقة الحجاجية أما المُرسَل إليه فلا يعدو دوره عن تأويل الخطاب والإقتناع به أو رفضه.

ثالثا : الحجاج وفني الخطابة والوصية

لمعرفة العلاقة بين الحجاج وفني الخطابة والوصية لابد من توضيح مفهوم كل منهما وتوضيح الغاية منه بكونه فن أدبي نثري قديم .

فالخطابة هي فن إقناع الجمهور وإستمالته[١٠]. أو هي صناعة يمكن بسببها إقناع الجمهور[١١] . فهي فن الإقناع والاستمالة ، لأن القدرة على النظر في كل ما يؤدي إلى الإقناع أساس هذا الفن [١٢]. فبذلك تكون الخطبة فنٌ حجاجيٌ هدفه التأثير والإقناع بأي أمر كان تحقيقا لأهداف الناص أو الخطيب.

أما الوصية فهي نوع من أنواع الادب غايته التوجيه والارشاد يعبر به عن خلاصة تجارب الحياة بحكمة ونظرة ثاقبة دعوة لإكتساب المحامد ، أو التبصير بحسن السياسة [١٣].

والوصية فنٌ أدبي جاهلي إعتنى بها العرب منذ عصر ماقبل الإسلم بترتيب مفاصلها وأدائها إذ لم تختلف كثيراً عن خطبهم إلامن حيث النمط الشكلي [١٤]. فقد كانت في بعض صورها لون من الخطب ، لما بينهما من تشابه في مواجهة المخاطبين بالقول والقصد فيها الى الإقناع [١٥].

فالخطابة والوصية فنان نثريان متماثلان في الاستراتيجية إذ يتكون كلٌ منهما من نص خطابي يلقيه الباث للمتلقي قاصداً منه التأثير والإقناع ، فيتفقان في ذلك مع غاية الحجاج وهدفه في التأثير والإستمالة لإرجاح رأي ما عن طريق الوصول إلى عقل المتلقي وتغيير أفكاره وإشراكه في عملية التأويل ، وبهذا يمثلان فنان حجاجيان توظف فيهما جميع الامكانات اللغوية وغير اللغوية لتحقيق القصد في الإقناع.

المحور الأول

مفهوم السُلم الحِجاجي وخصائصه:

هو مجموعة من الحجج المتنامية تصاعدياً بحيث تكون كل حجة أقوى من سابقتها لتحقيق غاية يسعى لها المتكلم [١٦].

أو هو علاقة ترتيبية للحجج في فئة حجاجية موجهة [١٧].

أي إنه:((مجموعة غير فارغة من الاقوال مزود بعلاقة ترتيبية)) [١٨].

وقد تم تسميته بالتراتب وهو عبارة عن ترتيب للتعابير والملفوظات الحجاجية بحسب القوة والضعف[١٩].

فالسُلم الحِجاجي عملية ترتيبية للحجج من الأضعف إلى الأقوى في فئة حجاجية موجهة لدعم نتيجة ما أو دحضها [٢٠].

ويتميز السُلم الحِجاجي بطبيعته المتدرجة من الأصغر الى الأكبر أو من الأضعف الى الأقوى بما يشبه النمو، ما يحدو بنا أن نسميه بالتنامي الحجاجي : وهو تنامياً نصياً للحجج المكونة للنص مقرونا بتلازم حجاجي في إطار موضوع موحد ضمن البنية النصية سعياً لخدمة قضية ما أو دحضها .

و يرتبط السُلم الحِجاجي بمعنى أخر وهو الوجهة أو الاتجاه الحجاجي ومعناه أن أي قول يمكنه إنشاء فعل حجاجي ، فإن قيمته تحدد بواسطة الإتجاه الحجاجي ويكون صريحاً أو مضمراً [٢١].

ويكون ترتيب الحجج وفق درجات السلم تابعا لرغبة المتكلم أو ألناص بهدف إرجاح ما يروم إليه ، زيادة على أن تكوين السَلالمِ الحِجاجية يشترط فيها إقرار التلازم بإضافة الحجة إلى النتيجة سواء أكانت هذه النتيجة مصرح بها أم ضمنية[٢٢]،وذلك لأن إضافة الحجة الى النتيجة يُكون تسلسلاً حجاجياً مرتباً يساعد المتكلم على إقناع المخاطب. وللسُلمِ الحِجاجي خصيصتان نابعتان من طبيعته التكوينية هما:

أ- ان كل قول يقع في مرتبة من مراتب السُلم يكُون دليلاً على مدلول معين ، وأي قول يعلوه يكُون دليلاً أقوى منه بالنسبة ل (ن) .

ب- كل قول يقع في مرتبة ما من السُلمِ يلزم عنه جميع مايقع تحته ، فاذا كان القول (ب) يؤدي الى النتيجة (ن) فان (ج أو د) الذي يعلوه يؤدي إليها كذلك[٢٣] .

قوانين السُلم الحِجاجي :

السُلم الحِجاجي بمعناه الاجمالي ترتيب منظم للحجج التي تتصاعد عمودياً لتخدم نتيجة محددة ، إذ يشترك الترتيب والتلازم في تكوينه زيادة على كونه يخضع لقوانين تحدد طبيعته الحجاجية وعمله في النص الحجاجي وهي ثلاثة قوانين :

أ-قانون النفي أو قانون تبديل السُلم : يتضمن هذا القانون إنه إذا كان القول يؤدي الى نتيجة معينة ، فان نقيض القول يؤدي الى نتيجة مضادة للنتيجة الاولى [٢٤] ، أي مناقضة لها والحجاج يكون مقبولاً في كلا النتيجتين المتناقضتين

ويمثل ذلك قولنا :

ب- زيد مجتهد ، لقد نجح في الامتحان.

ت- زيد ليس مجتهداً ، إنه لم ينجح في الامتحان .[٢٥] ففي المثال الاول الحجة أو القول أ- زيد مجتهد دليلاً على نجاحه وهو قول مقبول ، وفي المثال الثاني (أ) زيد ليس مجتهداً دليلاً على رسوبه وهو قول مناقض للقول الاول ، وكلا النتيجتين مقبولتان فهما تقعان ضمن قانون النفي .

٢ – قانون القلب :

يرتبط هذا القانون بالنفي ، ويشتمل هذا القانون على أن السُلم الحِجاجي للأقوال المنفية هو عكس سُلم الأقوال المثبتة، فاذا كان أحد الأقوال المثبتة أقوى في التدليل على نتيجة معينة (ن) ، يكون نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على النتيجة المضادة (لان) في الكلام المنفي .

فإن (١أ) أقوى من (أ) في التدليل على (ن) ويكون (~١أ) المناقض ل(~أ) أقوى في التدليل على (لان) .[٢٦]

ويتمثل ذلك في المثالين التاليين :

١. حصل زيد على الدكتوراه بل حصل على الماجستير.
٢. لم يحصل زيد على الدكتوراه، بل لم يحصل على الماجستير.

فإن حصول زيد على الدكتوراه دليلاً قوياً على مكانته العلمية وذكائه، أما عدم حصوله على الماجستير دليلاً أقوى من عدم حصوله على الدكتوراه على تأخره وتدني مرتبة العلمية وسنوضح ذلك في المخططين التاليين:

١.

ن	كفاءته العلمية وذكائه
١	حصل على الدكتوراه (١أ)
٢	حصل زيد على الماجستير (أ)

٢.

لان	عدم كفائته العلمية وتدني ذكائه
١	لم يحصل زيد على الدكتوراه (~أ)
٢	لم يحصل زيد على الماجستير (~أ)

فنلحظ أن الحجة الأقوى في السُلم رقم (١) جاءت في أعلى السُلم مرتبة وهي حصول زيد على الدكتوراه في الإثبات ، أما الحجة الأقوى في السُلم رقم (٢) قد جاءت في أسفل السُلم درجة وهي نقيض الاولى ؛ لأن عدم حصوله على الماجستير دليلاً قوياً على تدني ذكائه وهو أقوى من عدم حصوله على الدكتوراه، فحصوله عليها مرهون بحصوله على الماجستير هذا ما منح الحجة (~١أ) قوة حجاجية ضمن وجودها في السُلم الحجاجي المنفي.

٣. قانون الخفض :

ينص هذا القانون على أن القولين المتقابلين لا يصدقان في مرتبة واحدة من السُلم الحِجاجي بل يصدق أحدهما في مرتبة ويصدق الثاني في مرتبة أخرى تقع تحتها في السُلم .[٢٧]

ويوضح ذلك الشكل التالي [٢٨]

ن

د

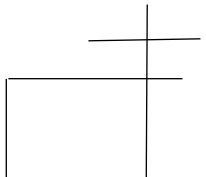

فان قولنا :

- الجو باردٌ
- الجو ليس بارًدا

في إثبات البرد ونفيه لا يمكن أن يندرجان في مرتبة حجاجية واحدة وإن صدقتا بل تقع الاولى في مرتبة وتقع الثانية في المرتبة التي تليها .[٢٩]

- **أهمية السُلم الحِجاجي :**

تكمن أهمية السُلم الحِجاجي في إرتكاز عمله على حبك تسلسل الحِجَج في نسق حجاجي محكم ما يساعد على تحقيق القضية المطروحة أو دحضها ، هذا ما يُضفي إليه دوراً ريادياً في سياق النص الحجاجي ، زيادة على توجيهه للقول وتحديد قيمته ضمن قسم حجاجي يقوم على قوة وضعف مكوناته بالنسبة الى نتيجة ما ، فالسُلم الحِجاجي بتركيزه المتدرج والموجه للاقوال ، يوضح أن القول لا يتحدد بصدقه أو كذبه ، وإنما يكون الحكم عليه على أساس القوة والضعف مستنداً على طابع التدرج وليس إستناداً للصدق والكذب .[٣٠]

فالاقوال المرتبة ضمن سُلمية حِجاجية؛ سواء أكانت صادقة أم كاذبة لا تخدم النتيجة المرجوة إلا بقوتها الحجاجية ، لذلك يعد السُلم ضرورة حِجاجية لتدرجه في ترتيب الجزيئات اللغوية للنص مُرتِباً الحُجَج تصاعدياً من الأضعف الى الأقوى ليمنح النص رصانة حِجاجية ، ويُمكن الأقوال من السامع فيحقق الهدف المرجو منها.

المحور الثاني

أمثلة تطبيقية لبنية السَلالِم الحِجاجية بمفرداتها اللغوية في النثر الجاهلي (خطبه ووصاياه) :

إن للسَلالِم الحِجاجية أو التنامي الحِجاجي أهمية كبيرة في تكوين النص الرصين ما يزوده بالطاقة النصية العالية في الاستحواذ على ذهن المخاطب وتحقيق النتيجة المحددة ، فقد تكونت الخطب والوصايا الجاهلية من مجاميع حجاجية قد تكون في سُلم حجاجي واحد من بداية النص الى نهايته ليشد المتلقي إليه وليكون بؤرة حجاجية يُرى من خلالها هدف النص وهي النتيجة الموحدة لكافة حجج النص ويمثل ذلك مقال مرثد الخير[٣١] مُصلحاً بين سبيع بن الحارث[٣٢] وميثم بن مثوب [٣٣] : ((إن التخبطَ وإمتطاءَ الهجاجِ ، وإستحقابَ اللجاج، سيقفكُما على شفا هوةٍ في توردها بوارَ الأصليةِ ، وإنقطاعَ الوسيلةِ، فتلافيا أمركُما قبلَ إنتكاثِ العهدِ ، وإنحلال العقدِ ، وتشتُتِ الأُلفةِ ، وتبأين السهمةِ ، وأنتما في فُسحةٍ رافهة ، وقَدمٍ وأطدة ، والمودُة مُثرية ، والبقيا مُعرضة ...))[٣٤].

جاءت خطبة مرثد الخير في نسق حجاجي متفاوت قوةً وضعفاً ليقنع المتخاصمين بتلافي شر الحرب فيجعل خطبته عبارة عن مجموعة من السَلالِم الحِجاجية التي تسعى الى هدفٍ حِجاجي واحد وهو إخماد نار الحرب . وسنبين هذه السَلالِم بمخططات سُلمية حِجاجية لتتضح أهمية ورودها في الخطب لاسيما سل الضغائن والاحقاد :

.١

	ن–إخماد نار الحرب
ج	إستحقاب اللجاج
ب	إمتطاء الهجاج
أ	إن التخبط

يبين السُلم الحِجاجي رقم (١) أن مرثد قد بدأ خطبته بسُلمٍ حِجاجي مُرتباً حُجته من الأضعف الى الأقوى ليستميل المخاطبين ويُهدء نفوسهم ما يقعد بهم عن غمار الحرب فبدأ بالتخبط ، ثم أتبعه بامتطاء الهجاج وإستحقاب اللجاج أذ بنى تناميا حجاجيا من التخبط منتقلا الى الامتطاء ثم الاستحقاب أي من أصغر الأمور الى أعظمها وأكثرها تأثيراً في إشعال الحرب بين الطرفين .

ولا يختلف السُلم الحِجاجي رقم (٢) عن السُلم رقم (١) في تناميه تصاعدياً وترتيبه للحجج في فئة حجاجية واحدة جاعلاً القوة والضعف المحوران اللذان يحققان الغاية المرجوة للحجج ويتضح ذلك في الرسم التالي :

.٢

	ن–إخماد نار الحرب
د	تباين السهمة
ج	تشتت الأُلفة
ب	إنحلال العقد
أ	إنتكاث العهد

فقد جاءت الحجة الأقوى والأكثر تأثيراً في نهاية السُلم بينما إستقرت الحُجة الأضعف في المرتبة الأولى من السُلم ضمن ترتيبه التصاعدي ليُحكم الكلام ، ويقوي نسجه ما يكون سُلمية حِجاجية تجعل من النص دالة حِجاجية مُتكاملة بروابطها وسَلالِمها الحِجاجية ، وإذا مضينا قُدما في إستقراء خطبة مرثد الخير نجد إنها في أكملها تَنامُياً حِجاجياً في بنية نصية واحدة ومن ذلك قوله في منتصف خطيته ناصحاً: ((فقد عرَفتمُ أنباءَ من كان قبلكُم من العربِ ، ممن عصى النصيحَ ، وخالفَ الرشَيد ، وأصغى الى التقاطُعِ ،...)) [٣٥].

إن للسُلم الحِجاجي خاصية تدرجية في تنظيمه الكلام وترتيبه ، لما يضفي عليه من تنامي نصي، كما إنه يحكم النص لما يفرضه على صانع النص من تقولب نصي في إختيار كلماته وتنسيق جملة والربط بينهما ، إذ أن بناء خطبة مرثد وفق سُلمية حِجاجِية وألية تنظيم راقية وكأنه كان مُتقناً لشروط السُلم الحِجاجِي وعلى دراية كاملة باهميته في النص الخطابي ، وهذا خير دليل على معرفة العرب الجاهلين أهل الفصاحة والبيان بما يضفيه تدرج الكلام من إستمالة للمخاطب وإقناعه بالقضية المطروحة فطبيعة السُلم الحِجاجِي تَسحَبُ ذهنَ المُخاطَبِ شيئاً فشيئاً حتى تُمكن الكلام منه وتُوقِعُ أثراً في نفسه ؛ لذلك تكونت خطبة مرثد من مجموعة سَلالم حِجاجِية في بُنية سُلمية وكأنها سلم واحد لنتيجة واحدة فقوله خاتماً خطبته : ((... فتلاقوا القَرحةَ قبل تفاقمُ الثأي وإستفحالَ الداءِ ، وإعوازَ الدواءِ ، فإنه إذا سُفِكتْ الدماءُ ، إستحكمتْ الشحناءُ، وإذا إستحكمتْ الشحناءُ ، تقبصنتْ عُرى الإبقاءُ ، وشَمُلَ البلاءُ ...)) .[٣٦]

إذ ختم مرثد خطبته بكلام متماسك لغوياً موظفاً عدة روابط حِجاجِية ساوق بها الحُجَج كالواو والفاء ليضمن إستمرارية الكلام ويقوي حُجته ما يُغذي سُلمة بقوةٍ حِجاجِيةٍ مُناسبةٍ لخاتمة الخطبة فشمولُ البلاءِ ليس له دافع وهو أقوى حُجة سُلمية في الخطبة ، فنلحظ أن الخطبة مجموعةُ حُجَج كلُ حُجة تقع في مرتبة من مراتب سُلم حجاجي ضمن فئة حجاجية واحدة وكل سُلم من هذه السَلالم يُمكن أن يكُون حُجة في سُلم الخطبة العام ، فاقوى سُلم أخِر الخطبة لاتفاقه كخاتمة ما يخدم الهدف الذي يقصده الخطيب وأضعفها حِجاجياً في بداية الخطبة فقد تدرجت السلالم متنامية تلبية لحاجة الخطيب في إقناع المتخاصمين خدمة للنتيجة الموحدة

في إخماد نار الحرب أو كما أسميناها بالبؤرة الحجاجية .

فالسُلم الحِجاجي السلاح الاقناعي الذي يعمل به الناص على توجيه نصه الوجهة الهادفه للاقناع سواء أكان الكلام موجهاً الى أفراد أم الى جماعات وقد إتضح ذلك في خطبة مرثد الخير وهدفه الاصلاحي كما يتجلى ذلك في خطاب الجماعات وإقناعها على الرغم من إختلاف وجهات نظرهم وأفكارهم في خطبة هانئ بن قبيصة الشيباني[٣٧] قائلا :((يا معشَر بكرٍ هالكٌ معذورخيرٌ من ناجٍ فرور،إن الحذر لا يُنجي من القدر،وإن الصَبر من أسباب الظفر،المنيةُ ولاالدنية،إستقبالُ الموتِ خيرٌ من إستدباره ،الطعنُ في ثغرِ النحورأكرم منه في الإعجاز والظهور،يا آل بكرٍ قاتلوا فما للمنايا من بد))[٣٨].

إن بناء الخطبة وفق سُلمية إقناعية تداخلت فيهلا عدة مستويات لتناسب غايتها الحماسية في بعث روح التفاعل في نفوس المتلقين لإثارة حماستهم وإقناعهم في خوض غمار الحرب دون تراجع فنظمها هانئ بتدرج سلمي موظفاً حججه تبعاً لوقعها النفسي إذ بدأ بدرجات مقارنة بقوله:(هالك معذور خير من ناج فرور) فدرجات المقارنة بخاصيتها في وضع الفوارق بين الاشياء جعلت المُخاطَب بين أمرين فُضِل أحدهما على الأخر ،فالهلاكُ مع العُذرِ خيرٌ من النجاةِ والفرارِ إذ بهما بصمةُ عارٍ لايمحي أثارها غبار الزمن ثم ينتقل الباث بخطبته الى درجة أخرى من سُلمه الحجاجي مدعماً ذلك بمفارقة طباقية صانعة لجاذبية فعالة يسحر بها المتلقي عن طريق التأثير الروحي المولد للأنسجام والقبول[٣٩] .وذلك بين ألفاظ (المنية . الدنية) متبعاً ذلك بمقارنة حجاجية محدثة لمفارقة إقناعية يذعن لها المتلقي خاتماً خطبته بأمر محتم وهو أن الموت أت لامحالة ليقوي عزمهم بألفاظ حماسية منسوجة وفق حجج منظمة تنظيماً سُليماً يتناسب وغاية الخطيب في الإقناع والإثارة على خوض غمار المعركة . وإن للسُلم الحِجاجي خاصية إقناعة ينفرد بها عن بقية التقنيات الحِجاجية الاخرى؛ لذلك نظم العرب مفاخراتهم وفقه مهما إختلف مقام المتلقي ويتمثل ذلك في خطبة الحارث بن عباد[٤٠] أمام كسرى مُفاخراً بعروبته وقبيلته قائلاً: ((.... والعربُ تعلمُ أني أبعثُ الحربَ قدماً ، وأحسُبها وهي تُصرفُ حتى إذا جاشتْ نارُها وسُعِرتْ لظاها ، جعلتُ مقادها رمحي ، وبرقها سيفي ، ورعدُها زئيري ، ولم أقصر عن خوض خضخاضِها حتى أنغمسُ في غمرات لُجَجِها..))[٤١] فقد عمد الحارث الى سُلمية مساوقةً للحجج بوجود الرابط الحجاجي حتى وخاصيته الحجاجية في مساوقة الحجج وتقويتها للنتيجة[٤٢] ، ما شحن النص بطاقة إقناعيةِ مناسبة لمقام كسرى على الرغم من قوة معانية في المفاخرة أو المباهاة .

وأن أي كلام يوجهه المتكلم الى السامع يكون هدفه الإقناع حتى في الحياة اليومية ؛ لذلك يستوجب القول تدرجا من الأسهل الى الأصعب أو الأضعف الى الكلام الأقوى تركيباً لغوياً ، والأكثر إيحاءً دلالياً والأحكم نسجاً صورياً ليكون أخِرُ ما يقع في ذهن السامع فيترك وقعا في نفسه كما إن النفس البشرية لا تركن للقوة والصعوبة في بداية القول بل تنافره وتجانس الليونة والسلاسة ، وبما إن هدف أي كلام هو الإقناع فان الخطب والوصايا هي كذلك إقناعية بطبيعتها ، فتمثلت بها السَلالِمُ الحِجاجية خير تمثيل ومن ذلك في الوصايا قول أكثم بن صيفي[٤٣] موصيا لبني تميم : ((... الهوى يقضانٌ ، والعقلُ راقٌد ، والشهواتُ مطلقةٌ ، الحزُم معقولٌ ، والنفسُ مهملةٌ ، والرويُة مقيدةٌ ...)) [٤٤] .

لقد رتب أكثم مفاصل وصيته وفق سُلم حِجاجي قارناً الحُجج مع نقائضها ضمن قانون الخفض الذي حدده طه عبد الرحمن : بانه القولين المتقابلين لا يصدقان في مرتبة واحدة من السلم بل يصدق أحدهما في مرتبة ويصدق الثاني في مرتبة أُخرى دونها من السلم[٤٥] .

وسنوضح ذلك في رسم السُلم الحِجاجي لهذه الوصية لنبين كيفية ترتيب السلم وفق هذا القانون .

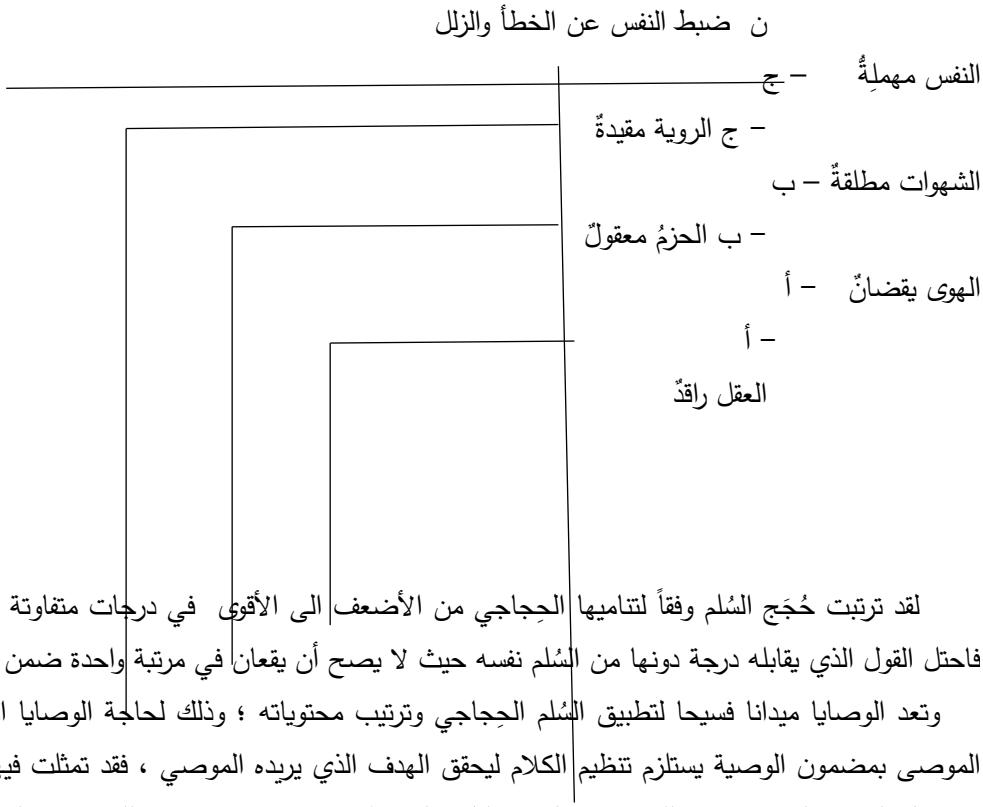

لقد ترتبت حُجَج السُلم وفقاً لتناميها الحِجاجي من الأضعف الى الأقوى في درجات متفاوتة فكل قول إحتل مرتبة من السُلم فاحتل القول الذي يقابله درجة دونها من السُلم نفسه حيث لا يصح أن يقعان في مرتبة واحدة ضمن قوانين السُلم الحِجاجي.

وتعد الوصايا ميدانا فسيحا لتطبيق السُلم الحِجاجي وترتيب محتوياته ؛ وذلك لحاجة الوصايا الى ذلك التدرج بطبيعتها فاقناع الموصى بمضمون الوصية يستلزم تنظيم الكلام ليحقق الهدف الذي يريده الموصي ، فقد تمثلت فيها أغلب قوانين السُلم الحِجاجي كما مثلنا لقانون الخفض ، وكذلك قانوني النفي والقلب المرتبطان قد تمثلا فيها ومن ذلك وصية الحارث بن كعب [٤٦] لبنيه قائلا : ((يا بنيَّ عليكمُ بهذا المالِ ، فاطلبوه أجملَ الطلبِ ، ثُم إصرفوهُ في أجملِ مذهب ، فصلوا به الارحامَ ، وإصطنعوا منه الأقوامَ ،واجعلوهُ جنة لأعراضكم تحُسنْ في الناسِ قالتكم ، فان بذله تمامَ الشرفِ ، وثَباتُ المُروءةِ ، وإنه ليسودُ غير السيدِ ، ويؤيدُ غير الايدِ ، حتى يكونُ عند الناسِ نبيلاً نبيها ، وفي أعيُنهم مَهيباً ، ومن إكتسبَ مالاً فلم يصلْ به رحماً ، ولم يعطِ منه سائلاً ، ولم يصُنْ به عِرضاً ، بحثَ الناسُ عن أصلهِ فان كان مدخولاً ألزموه دنية وأكسبوهُ عِرقاً لئيماً حتى يُهجنوه به))[٤٧] .

نلحظ إن الحجج التي وردت في الوصية تمثل سلمان الاول في حسن التصرف بالمال ليكون نعمة عليهم وسنوضح ذلك في المخطط التالي :

	ن حسن التصرف بالمال يكسب الذكر الحسن
وفي أعيُنِهم مَهيباً	ش
حتى يكون عند الناس نبيلاً نبيهاً	س
يؤيد غير الايد	ز
إنه ليسود غير السيد	ر
وثبات المروءة	ذ
فان بذله تمام الشرف	د
وإجعلو منه جنة لاعراضكم تحسن في الناس قالتكم	خ

وإصطنعوا منه الأقوام	ح
فصلوا به الأرحام	ج
ثم إصرفوه أجمل مذهب	ب
عليكم بهذا المال فاطلبوه أجمل الطلب	أ

يمثل هذا المخطط الجانب الايجابي من الوصية وهو السُلم المثبت الذي يخدم النتيجة (ن) وهي حسن التصرف بالمال لكسب الذكر الحسن ، أما السلم رقم (٢) فيمثل الجانب المضاد للسلم رقم (١) فيخدم النتيجة (لا–ن) وهي سوء التصرف بالمال يُكسِب السمعة السيئة ويتضح ذلك في السلم الحجاجي التالي:

- المخطط رقم (٢) ويمثل السُلم المنفي

لا–ن	سوء التصرف بالمال يكسب السمعة السيئة
حتى يهجنوه به	ر
وأكسبوه عِرقاً لئيماً	ذ
وإن لم يكُنْ مدخولاً ألزموه	د
فان كان مدخولاً هرتوه وهتكوه	خ
بحث الناس عن أصله	ح
ولم يصُن به عِرضاً	ج
ولم يُعطِ منه سائلاً	ب
من إكتسب مالاً ولم يَصلْ به رحماً	أ

فالسُلم رقم (١) هو السُلم المثبت وأقوى حُجَجَهُ في أعلاه حسب قانون القلب ، أما السُلم رقم (٢) فهو السُلم المضاد للسُلم رقم (١) وأقوى حُجةً تكون في بدايته ما يصنع تضاداً في الوصية ليعطيها خصوصية لدى المُوصى ما يلزمه مضمونها تحقيقاً لرغبة المُوصِي .

والسُلم الحِجاجِي بما يتحقق فيه من الشمول لأجزاء الكلام فقد وظف العرب فيه تقنيات حجاجية مختلفه ونلحظ ذلك في وصية يزيد ذو الكلاع[٤٨] لأبناء عشيرته وأبنائه قائلاً : ((معشرَ الجماعةِ من ولدي ، وإخوتي وبني عمي ،لو كان المُلكُ يدومُ لأحدٍ ، لدامَ للأسلافكُم ،الذين ملكوا البلادَ ، فأحسنوا السيرةَ في أهلها ، أخذو للضعيف من القوي، وأمنّوا السُبلَ ، وأذلوا الجبابرةَ ، وأبادوا المُفسدين...))[٤٩] فالنتيجة المنسوجة بأسلوب الشرط ((لوكان الملك يدوم لأحد)) دُعمت بعدة حُجج جاءت اللام رابطة بينها وبين النتيجة لتقويتها وتمنحها الاستحواذ على أذهان المتلقين فضلاً عن ترتيبها للحجج برتب متتالية مكونة بذلك سُلمية سببيه تعمل على إقناع الموصين وإلزامهم الوصية وللعرب في البناء السُلمي للوصايا فنية راقية أعملوها لإنتقاء ألفاظهم النحوية وألياتهم البلاغية ليكُونوا حُجَجاً تراتبيه لايمكن للمتلقي رفضها لما تلقاه في نفسه من قبول وتسيلم ويمثل ذلك ماجاء في وصية علهان[٥٠] بن تبع بن زيد لابن أخيه قائلاً : ((وإني أُوصيك يابنيّ بالكفَّ عن المعصية ، والأحسانُ الى الرَّعيةِ ، فإذا نعمتْ فأنعم ، وإذا كويت داء العزَّ فأحسم))[٥١] فالكف عن المعصية صلاح الفرد، لأنها إستقامة خلقية يستقيم بها السلوك والنفس ، والاحسان الى الرعية حسن سريرة وطبائع تابع للصلاح والإنعام على الناس بدون إشعارهم بالذل كل هذه الحُجَج مترابطة تتبعها حجة كنائية في معنى العدل وترك الضلم خدمة لنتيجة واحدة هي الاستقامة وحسن الخلق .

الخاتمة :

وفي ختام عملنا هذا توصلنا الى عدة نتائج سنوجزها كالاتي:

١. الحجاج نظرية حديثة إرتبطت بالدراسات النقدية الحديثة ، إلا أن جذورها تمتد في أعماق القديم لتتبعث في مسار الحديث .
٢. إن الخطابة والوصية بمفهوميهما فنان أدبيان نثريان حجاجيان هدفهما الإقناع والإستمالة على الرغم مما بينهما من إختلافات ليست ذات أثر في بعدهما الإقناعي.
٣. إن الجاهليين أتقنوا توظيف مفرداتهم اللغوية وفق منهجية سليمة تخدم نصوصهم الحجاجية .
٤. إن السُلم الحِجاجي بقوانينه وخصائصه يمنح النص تَنامُيا تصاعدياً يحكم بنائه اللغوي والحجاجي.
٥. إن السُلم الحِجاجي يصنع طاقة إقناعية يبثها داخل النص مستمدة من خصائصه في ترتيب أجزاء القول التي تتدرج في مخاطبة المتلقي وإستمالته .
٦. يعد السُلم الحِجاجي العمود الفقري الذي يقوم عليه الخطاب الاقناعي ، فلا يخلو منه أي كلامٍ أدبي أو غير أدبي هدفه الإقناع والتأثير .

هوامش البحث :

١) المحكم والمحيط : مادة (حجج)
٢) لسان العرب : مادة (حجج) ٥٧٠/١
٣) ينظر : الحجاج اطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج (الخطابة الجديدة) : ٢٩٩
٤) ينظر : الحجاج في القران الكريم:٢٩
٥) البلاغة والحجاج ضمن اهم نظريات الحجاج : ٣٩٤
٦) ينظر : في اصول الحوار وتجديد الكلام : ٦٥
٧) ينظر : استراتيجيات الخطاب :٤٥٦
٨) ينظر : الحجاج في الشعر العربي القديم بنيته واساليبه : ٦٢
٩) ينظر : استراتيجيات الخطاب :٦٢
١٠)ينظر : فن الخطابة : ٥-٦
١١)ينظر : تاريخ الخطابة العربية الى القرن الثاني الهجري :١٨
١٢)ينظر : الخطابة في صدر الاسلام : ٣/١-٨٢
١٣)ينظر : أساليب النثر الفني باب الوصايا : ٥/١
١٤)ينظر : الأدب في عصر النبوة والراشدين :١٩٩
١٥)ينظر : صورة المرأة في النثر الجاهلي : ٥٩
١٦)ينظر : وسائل الاقناع في خطبة طارق بن زياد :١٨١
١٧)ينظر : اللغة والحجاج :٢٦
١٨)اللسان والميزان أو التكوثر العقلي :٢٧٧
١٩)ينظر : القيمة الحجاجية لإسلوب القصر في اللغة :١٠٨
٢٠)ينظر: الحجاج في كتاب الامتاع والمؤانسة :١٣٣
٢١)ينظر : اللغة والحجاج :٣٠
٢٢)ينظر الحجاج في اللغة ضمن أهم نظريات الحجاج :٣٦٣
٢٣)ينظر : اللسان والميزان :٢٧٧ ، واللغة والحجاج :٢٦
٢٤)ينظر : اللسان والميزان :٢٧٨ ، اللغة والحجاج :٢٨
٢٥)ينظر : اللغة والحجاج : ٢٨

٢٦)بنظر : اللسان والميزان :٢٧٨ ، اللغة والحجاج :٢٨

٢٧)ينظر : اللسان والميزان :٢٧٨ ، الحجاج في النص القراني في سورة الأنبياء انموذجا :١٠٠

٢٨)ينظر : اللسان والميزان :٢٧٨

٢٩)ينظر : اللغة والحجاج : ٣٠

٣٠)ينظر : حجاج موسى عليه السلام في النص القراني :١١-١٢

٣١)مرثد الخير : هو مرثد الخير بن ينكف بن نوف بن معد يكرب بن مضحى كان حدباً على عشيرته وخطيباً فصيحاً . ينظر : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام :٤١١/١٦

٣٢)سبيع بن الحارث : هو سبيع بن الحارث بن مالك الثقفي من بني ثقيف، أدرك الإسلام وقاتل أهله ، عاش الى مابعد فتح مكه فقتل يوم حنين وهو على دين الجاهلية . ينظر: الاعلام :٧٧/٣

٣٣)ميثم بن مثوب :هو ميثم بن مثوب بن ذي رعين من أقيال اليمن .ينظر:المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام :٤١١/١٦

٣٤)جمهرة خطب العرب :٢/١

٣٥)م . ن :٢/١

٣٦)جمهرة خطب العرب :٢/١

٣٧)هانيء بن قبيصة الشيباني :هو هانيء بن قبيصة بن هانيء بن مسعود الشيباني أحد الشجعان الفصحاء في الجاهلية ،كان سيد قومه أدرك الأسلام فأسلم ، ومات بالكوفة ،وهو صاحب وقعة ذي قار- ينظر: الاعلام: ٦٨/٨

٣٨)جمهرة خطب العرب :١٣/١

٣٩)ينظر : الطباق في العربية : ١٠

٤٠)الحارث بن عباد :هو الحارث بن عباد بن قيس بن ثعلبة البكري ،من أهل العراق ،من فحولة الشعراء ،وأحد سادات العرب وحكمائها وشجعانها ،سيد بني مرة وقائدهم . ينظر :الأعلام :١٥٦/٢

٤١) جمهرة خطب العرب :٢٣/١

٤٢) ينظر :اللغة والحجاج :٧٦.٧٤

٤٣) أكثم بن صيفي :هو أكثم بن صيفي بنا رياح بن الحارث بن مخاشن بن معاوية التميمي من حكماء العرب في الجاهلية ،وأحد المعمرين ،أدرك الإسلام فقصد المدينة ومات في الطريق ولم ير النبي محمد(ﷺ) . ينظر: الأعلام: ٦/٢

٤٤)- جمهرة وصايا العرب : ١٠٧/١

٤٥)-ينظر: اللسان والميزان : ٢٧٨

٤٦)-الحارث بن كعب : هو الحارث بن كعب بن عمرو بن عُلَة ،من مذحج من كهلان، جد جاهلي، من نسله بنو الديان رؤساء نجران، وآخرّون كلهم حارثيون كهلانيون، من قحطان . - ينظر: الاعلام :١٥٧/٢

٤٧)-جمهرة وصايا العرب :١٤٩/١

٤٨)-يزيد ذو الكلام: لاتوجد له ترجمة

٤٩)- جمهرة وصايا العرب : ٢٧٧/١

٥٠)- علهان بن تُبع بن زيد : هو علهان بن نهفان من بني بتع بن يحضب بن الصوار، من همدان ملك يماني جاهلي من ملوك سبأ ،أمه جميلة بنت عبد شمس ينظر: الاعلام :٢٤٩/٤

٥١)جمهرة وصايا العرب : ٢١١/١

ثبت المصادر والمراجع

١. الأدب في عصر النبوة والراشدين ، د- صلاح الدين الهادي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٤ ، ١٩٨٨ م .

٢. أساليب النثر الفني ، لطيف محمد الحاكم ، مطبعة الاداب ، النجف ، ط١ ، ١٩٧٤ م

٣. إستراتيجيات الخطاب ، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد ، ط١ ،٢٠٠٤
٤. الأعلام ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين – بيروت لبنان ، ط٥ ، ١٩٨٠
٥. البلاغة والحجاج ، محمد علي القارصي ، من خلال نظرية المسائلة لميشال ميار ضمن أهم نظريات الحجاج ، من التقاليد الغربية منذ أرسطو الى اليوم
إشراف حمودي صمود ، منشورات كلية الاداب ، الجمهورية التونسية ١٩٩٨.
٦. تاريخ الخطابة العربية الى القرن الثاني الهجري د– عبد الكريم ابراهيم دوحان الجنابي ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ،مصر ، ط١ ،٢٠٠٥ م
٧. جمهرة خطب العرب، احمد زكي صفوت، مكتبة المصطفى الالكترونية . .www.al–mostafa.com
٨. جمهرة وصايا العرب ، محمد نايف الدليمي ، دار النضال بيروت– لبنان ، ط١ ، ١٩٩١.
٩. حجاج موسى عليه السلام في النص القراني ، رسالة ماجستير كهينة زموش ، جامعة مولود معمري ، تيزي –زوو، كلية الآداب
١٠. الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه ، سامية الدريدي ، عالم الكتب الحديث الاردن ، ط٢ ، ٢٠١١.
١١. الحجاج في القران الكريم، من خلال أهم خصائصه الاسلوبية ، عبدالله صوله ، دار الفارابي ، ط١ ، بيروت ، ٢٠٠٧.
١٢. الحجاج في النص القراني في سورة الانبياء نموذجاً، رسالة ماجستير، ايمان درنوني ، جامعة لخضر باتنه ، الجزائر.
١٣. الحجاج في كتاب الإمتاع والمؤانسة ، حسين بوبلوطه ،رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنه ، الجزائر.
١٤. الحجاج في اللغة ، شكري المبخوت ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو الى اليوم ، فريق البلاغة والحجاج ، إشراف حمودي صمود ،جامعة الاداب والفنون ، تونس ، ١٩٩٨.
١٥. الخطابة في صدر الاسلام ، محمد طاهر درويش ،دار المعارف ، مصر ،ط١ د–ت .
١٦. صورة المرأة في النثر الجاهلي ، زهور علي عثمان دويكات ، رسالة ماجستير، جامعة النجاح ،نابلس، فلسطين ،٢٠١٣ .
١٧. الطباق في العربية، د– رحيم جمعة الخزرجي واخرون ،جامعة المستنصرية ،كلية التربية الاساسية، مجلة كلية التربية الاساسية ،ع ٧٦، ٢٠١٢.
١٨. فن الخطابة ، احمد محمد الحوفي ، دار النهضة الفجالة ، القاهرة ،ط٤ ،١٩٧٠.
١٩. في اصول الحوار وتجديد علم الكلام ، طه عبد الرحمن ، المغرب ، المركز الثقافي العربي، ط٣ ،٢٠٠٧.
٢٠. القيمة الحجاجية لإسلوب القصر في اللغة العربية ،محمود طلحة ، جامعة الأغواط ، بحث منشور مجلة الخطاب ، العدد الثالث ، ٢٠٠٨.
٢١. اللغة والحجاج ، ابو بكر العزاوي ، مؤسسة الرحاب الحديثة ، ٢٠٠٩.
٢٢. لسان العرب ، ابن منظور ، قدم له عبدالله العلايلي ، تصنيف : يوسف خياط ، دار لسان العرب ، بيروت، لبنان ، د–ط ، د–ت.
٢٣. اللسان والميزان ، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، ط١ ،١٩٩٨.
٢٤. المحكم والمحيط الاعظم ، ابن سيده ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، لبنان ،دار الكتب العلمية .
٢٥. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ،جواد علي ،دار الساقي ،ط ٤ ،١٤٢٢ . ٢٠٠١ م .
٢٦. وسائل الإقناع في خطبة طارق بن زياد ،دراسة تحليلية في ضوء نظرية الحجاج ،رسالة ماجستير ،سليمة محفوظي ،جامعة الحاج لخضر باتنة .